عبود

لا يتحمل السوط

دار خيال للنشر والترجمة ©
تجزئة 53 قطعة. رقم 27. بليمور
برج بوعريريج – الجزائر-
0668779826
Khayaleditions@gmail.com
ردمك :978-9931-06-396-4
الإيداع القانوني: السداسي الأول 2021.

لوصيف تركية

عبود لا يتحمل السوط

قصص

إهداء وشكر

إلي قارئ حالفه الحظ، واقتنى نسخة من مجموعتي القصصية "عبود لايتحمل السوط"

مع خالص تحياتي.

إهداء لمن فارقوني في هذه الحياة

والدي الذي كان يراني متميزة عن باقي إخوتي.

ووالدتي التي كانت تسعد لسعادة شقيقتي بسردي للقصص.

إهداء خاص

للإعلامي الجزائري عباس عبد الرزاق.

شكروعرفان

للناقد خالد سامي ذكي.

كلمـة الكاتبة

إلي القارئ العزيز:

قمت بدس قصة واحدة حقيقية لأترك لكم متعة الاكتشاف، ما هو من وحي الخيال وما هو من سمات الواقع.

واخترت عنوانا لمجموعتي القصصية الكاملة "عبود لا يتحمل السوط" لأن سياط الحياة قد جلدت شخصيات قصصي.

لوصيف تركية

تقديم

عبود لا يتحمل السوط مجموعة قصصية للأديبة الجزائرية تركية لوصيف

هذه المجموعة ولا أبالغ إن قلت إنها بلغت أقصى قدرة من الاستحواذ والانتشار والتدفق في الشرايين، معينا لا ينضب للارتواء والشبع للروح والعقل.

أصبحت بعدها غيري قبلها، أفضل وأطهر، أذكى وأذكى أشد اكتشافا للعواطف، أخذا وعطاءً، أشد فهما للحياة والناس أكثر تسامحا وأشد هياما بالفن ولهفة على الحب المقدس الذي يجمع الكون في قبضتة بزينتة وعوراتة.

لا شك أن هذا العمل وليد مهارة أدبية فذة ومتوهجة، عمل منتظم متناسق سوي، ليس فيه عوج، التفاصيل ملفوفة في الكل مندسة فيه.

قرأت واستمتعت بأحوال وأمزجة شخوص تم بناؤها بحكمة وحرفية الأديب المتمكن، وصف دقيق للتفاصيل والمشاعر مشاهد وحوار موجز يخلو من الرتابة والملل، شعرت بالثورة في عديلة وأثارت كبريائي، وذوبت شجنا في فاكهتي الطازجة، تألمنا لمصرع العم إسماعيل ووجدت القيمة والقامة والقدوة والمثل الأعلي والتعلم في حرز الطيار والعصفور الصغير أما الأراجوزاتي

موسى فكانت القصة التي أبدعت فيها الأديبة غاية الإبداع. تفوقت على نفسها في وصف الشخصيات ومشاعرها وسلوكها.

فإذا بك بقراءة المجموعة تحب العمل الفني ويتجاوز الحب ليشمل الكاتبة نفسها والفنانة حبا كبيرا، تتمنى أن تلثم يدها وقلمها على ما أبدعت بهما.

فالأديبة تركية لوصيف عاشقة، مغرمة، صبابة، متيمة ولهانة، مسحورة بالمشاعر الإنسانية والواقع المجتمعي لشرائح عديدة من المجتمع العربي.

لم تكن مقدمتي باسم الصداقة والحب والعروبة، أجامل الأديبة على حساب الفن، كلا بل إنها حقا كاتبة متميزة تستحق التقدير، كتبت فأبدعت وأصابت، فأسلوبها وأفكارها فيهما ما ينفع الناس ويعطيهم قوة وأملا في التغيير والتطلع للأفضل وليست بكائيات تثير في النفس الإحباط وتضيف إلى العتمة عتمة أخرى جديدة.

وختاما أبارك للأديبة المتميزة تركية لوصيف مجموعتها القصصية، وفي انتظار الجديد والمزيد من الإبداع والتألق.

خالد سامي ذكي

كاتب مصري.

عدلية، اللثـام يليق بك

مسلك جبلي تقطعه العنزات في خط عشوائي، تنط هنا وهناك كما لو كانت تتحرر من قيود الراعي التي يفرضها عليها بالعصا التي نحتها بسكينه الصغير لحظات عودة القطيع للتجمع.

كانت العصا طويلة بطول الراعي القصير الذي يضع وشاحا يغطي به وجهه، دورية عسكرية، يترجل العسكري ويتقدم من الراعي الذي لم ينتبه للعساكر التسع ويقول:

- كم عنزة لديك؟

- تسع عنزات ملك لزوجتي وأنا أرعى في هذا المكان القريب من بيتي.

كان الراعي يتوقع طرح الأسئلة ولكن تجنبها بدعوة العساكر على الغداء على أكلة الكسكس.

العساكر يسرون بالدعوة ويمازحون الراعي:

- ماذا لو كانت مكيدة؟ لمَ تغطي وجهك؟ دعنا نرى تفاصيله الكبيرة.

ينزع الوشاح، فتظهر على رأسه خطوط لجروح تنبئ أنها كانت عميقة، عراك ربما.

الراعي: قطاع الطرق في الجهة المجاورة، تعرضت لهجوم منهم ولكن لم يأخذوا القطيع، فقط ضربوني وطلبوا تغيير مكان الرعي.

العسكري: كم عددهم؟!!

الراعي: لم أعد أذكر.

العسكري: أخبرنا إن رأيتهم.

الراعي: سأخبركم.

قطاع الطرق يضربون الراعي ولا يستولون على القطيع!!

العسكري يتمتم.

كانت الزوجة عدلية تكنس الحوش وقد تلبدت السماء بألوان الغيوم القاتمة، أدخلت صغارها وأحكمت الإغلاق بوضع حجرة كبيرة على العتبة، كانت ترقب عودة الراعي وحملت السلة لتقطف ثمار التين حتى لا تقتلعها الريح من الأغصان.

أحست بخطى تقترب منها وصوتا يناديها واخترق سمعها من ناحية البستان فارتعبت، كانت تدور في مكانها وهرولت ودخلت البيت الطوبي، قطرات المطر تخترق السقف والراعي لم يعد بعد وأحدهم يطرق الباب فتصاب بالذعر، كان الطارق يعرف اسمها وينادي عدلية.

كانت تتبين صوت المنادي الذي لم تسمعه منذ عام انقضى قمر الليل والليث يقف ببابها.

هدّأت من روع صغارها وفتحت، كان الخال ومعه ثمانية رفاق ملثمين ومسلحين، احتواها بينما الرفاق صاروا رفقة يداعبون الصغار.

العنزات في شطحات تعلن تمردها والزوج الراعي يمعن النظر في شحذ السكين على الحجرة الصماء التي بيدي زوجته ففهم الرسالة.

الملثمون ضيوفها والعشاء سيجهز ولكن العنزات تسع والعسكر يعلم ونقصان واحدة تثير الشك.

العاصفة على وشك وطبيعي أن يضيع من القطيع جدي صغير .

خيوط الدخان تنبعث من المدخنة وعدلية تحفر حفرة عميقة بالبيت حتى تدفن فيها بقايا الجدي من أرجل ورأس وجلد، بينما رائحة اللحم في المرق والكسكسي أثنى عليها الملثمون.

الزوج يشكو لصهره تعرضه لهجوم سابق من طرف رجال ملثمين وصار لا يبتعد عن المكان ولكن اليوم اقتربت مني دورية عساكر.

هل يشكون بقدومنا؟؟

لقد دعوتهم للغداء.

الخال يوزع الرسالة للرفاق فيتجهزون لأي هجمة مرتدة ويطلب من عدلية البحث لهم عن مكان آمن فتشير للقبو.

الزريبة صارت بها ثماني عنزات ويدخل الرفاق القبو الذي يؤدي لمخرج بسفح الجبل، ساعات وصاروا في أمان وتحل دورية العساكر ويلحظون خروج الزوجين من الزريبة ليلا.

عدلية: لقد أضاع هذا المعتوه جديا صغيرا وأمه العنزة في جلبة لفقد صغيرها.

يتأسف العسكري ويؤكد على الدعوة التي يقبلها في المرة المقبلة، ينفلت الكلب من يده ويشم الحفرة ويكثر من النباح فيأمر عساكره بالحفر فيجدون بقايا الجدي المفقود، العساكر يطوقون المكان وينقلون الزوجين على متن المدرعة ويتركون الصغار في عويل يجرون خلف المدرعة وتظهر وهي تقطع المنعرجات في سرعة فائقة، عويل الصغار الثلاثة يتعالى ويقترب من مسامع الرفاق.

قمر الليل يضع يده على فاهه فينتبه الجميع فيقلصون المسافات بقطع الأحراش بينما يبقى ملثم يحمي الصغار.

خط النار مثبت بالمتفجرات والمدرعة تقترب وطائرة مروحية ترقب المكان، تجحظ الأبصار ويتباعد الرفاق في سكون، تحوم المروحية ثم يتضاءل أزيزها وتغادر، ينفلت الرفاق كحبات العقد والخيط يربطها فلا تضيع ويعيد ترتيبها قائدهم قمر الليل.

الأسيران يتوسطان العساكر وينظران في كل الاتجاهات عسى قمر الليل يكون قريبا من المكان فينقذهما.

المدرعة تقترب من خط النار وترتفع وتتطاير منها الأجساد وتعود المروحية للظهور في عنان السماء الملبد بالدخان وتطلق القنابل وكأنها فرس تدرس السنابل وتدقها في شهر أيلول كأنما الستار أسدل فتسلل قمر الليل للناحية الأخرى حتى يطمئن أو يرافق عدلية في رحيلها.

العتمة والصراخ والجراح والدماء تفوح مسكا من أجساد الرفاق وكلمة الله أكبر جعلتهم أسودا ضارية تطوق الضباع.

كأنما يقتلع بذرة طاهرة من موضع غير موضعها، عدلية طاهرة تموت على كتفي على أن ينكل بها، كان يركض ويبحث عن مكان آمن لها حتى تلفظ الشهادة.

فاكهتي الطازجة

تتوقف عند صندوق الرسائل وتتأمله طويلا، كانت الأظرفة الكثيرة تظهر لها ثم تتذكر أنها أضاعت المفتاح، ومن ذا الذي لا زال يراسلها وهي في سن متقدمة، العكاز بيدها المعين الوحيد لها حتى تعد السلالم صعودا وهبوطا.

أول شيء تفعله هو فتح الشرفة لترى العالم بنظرة أوسع صخب ومارة.

كم من المارة الكاذبين الذين مروا بحياتها وسودوها وكانت اللطخة تتسع يوما بعد يوم.

تدق باب جارتها بعكازها وتطلب منها خدمة.

اكسري صندوق الرسائل وأحضري لي كل الرسائل.

الجارة: سأتصل بعامل الصيانة.

كانت الدقائق تمر كما مرت أيامها، تضييع وقت وفرص جميلة لن تجعل منها تلك المتحسرة على ضياع المفتاح ستستخدم وسيلة الكسر وتجربها على الصندوق، كم تلقت محاولات كسرها التي رسمت ذلك الشرخ.

كل الرسائل كاذبة.

الجارة: جميع الرسائل من مديريات مختلفة، الضرائب البريد، ورسالة واحدة شخصية.

من مرسلها؟

شخص يدعى رفيق.

دقق في الختم والتاريخ.

منذ ثلاثين سنة، يعني قبل أن آتي لهذه الدنيا سيدتي مريم.

شعرت بدوار مفاجئ، وجدت عكازي والفتاة رانيا حتى أجلس كملكة تتصدر العرش.

ناوليني نظارتي، الرسالة من أسراري القديمة، رفيق كان من باعة الأرصفة يجر عربته ويبيع الفاكهة وكنت كلما مررت يعطيني رطلا ويرفض تسديد الثمن.

كان يراني فاكهة طازجة وصحية وهو الخبير بمجاله، كان وسيما ومرحا وبائعا ظريفا وخدوما لكبار السن ولكن لم أكن أراه طموحي، الفاكهة تذبل إن لم تجد من يشتريها هكذا كان الماكر يمرر لي رسالة الغرام.

كنت أرفض الذبول واستقدمت طفلة كنت لها الأم واستنسخت ما بي من خصال، ربيتها على الطموح وأنتظر عودتها من الغربة، ستكون جراحة عظيمة.

ولكن سأقرأ رسالة رفيق الآن بينما تناولني جارتي كوبا من عصير الليمون والنعناع.

إلى فاكهتي الطازجة، سأزرع الحقول أشجارا مثمرة وأعمل في البستنة، لقد انتزعت من خالي إرث والدتي وسأستثمر في قطعة الأرض وأبني بيتا يجاور الحقول وغيابي عن الرصيف له ما يبرره الآن، ردي ردا صادقا يا فاكهتي.

1950/10/20

يريد ردا صادقا، بائع الفاكهة الطازجة، لمَ لم يحضر خاله ويطلب يدي وقتها، كان ينازع خاله فيما تركته والدته وحصل على الإرث، رسالة واحدة ولم يرسل غيرها، يا له من جائع كالبهيم!!

اطلبي ابنتي نبيهة.

تتمتم سأريه مستثمرتي الجميلة، الجراحة العظيمة التي ربيت وجعلتها نسخة مني، الكسر والجراحة معادلة تلقى الحل.

نبيهة على الخط.

ألو، أمي، أنا بخير، البارحة حفل تخرجي ثم بكت، تواصل وهي تمسح دموعها.

تمنيت لو كنت معي، لقد حصلت على عقد عمل متربصة في قسم الجراحة، سأراك عندما أنهي فترة التربص.

اعتدت على عداد الأيام، والشهور ستنقضي وسأضم ابنتي أمي، لا تزالين قوية، أضلعي تتشابك.

أطلقت زغرودة مدوية وألوان الحب تطغى على الكآبة فتزيحها من قلبي، فاكهتي الطازجة صارت جراحة وتنقذ المرضى.

مصرع العم إسماعيل

طوت الجريدة البالية التي تصفحت فيها أحداثا ماضية الخبر الذي يصدم المجتمع الراقي كلمة مصرع فلان لم تعد تقرأها في جرائد اليوم، قالت لهما أن الموت أنيق أناقة الأثرياء وجالت بنظرة سريعة لزوايا الغرفة المهترئة التي تأويهن.

عبير كانت ترتب الفساتين بحسب اللون.

التصميمات جميلة وحتى الخياطة ونوعية القماش، أشعر أننا سنبيعها ونقبض اليوم.

اطلبي صاحب المحل وأخبريه بالموعد.

تدير أرقام الهاتف من محل البقالة.

سيدي، أنا عبير الخياطة، بضاعتك جاهزة، سنأتي حالا.

كن ثلاثة بنات جمعتهن حرفة الخياطة وتصميم الأزياء قدمن للمدينة لإمكانية التسويق، نصيب العم إسماعيل دعوة على الغداء في ردهة البيت، كان يلبي طلباتهن بينما هن منهمكات في رسم خطوط الفستان بالمقص، كان الشيخ يراهن بناته اللواتي لم ينجبهن، عوض الله كريم، كان يردد هذه الكلمات كلما تلقى الحسنى منهن، ولكن كان يرى أن كّلا ولها مزاج يخصها عندما يشتد الحنين، شاحنة صغيرة تدخل الحي والسائق ينادي على العم إسماعيل الذي يضع الملعقة ويخرج ثم يعود سريعا.

المشتري بعث بشاحنة، أين البضاعة؟

كومضات برق متتالية تم شحن البضاعة في الشاحنة ورافقوا السائق وكانت الطريق ليلا متوهجة، السائق يظهر فضوله الذي رفض الصمت الذي كسره العم إسماعيل، بناتي أفضل من رجل يدس أنفه فيما لا يعنيه.

أوراق المال توضع بيد العم إسماعيل ويسلمها لحنان فتقطتع منها بعض الورقات وتضعها بجيب الشيخ.

كان الكسب وفيرا وفرة البضاعة التي أنجزت في عدة شهور وكان لا بدّ لهم من راحة واستمتاع، سنعيش يوما واحدا حياة الثريات والدعوة مفتوحة لكما.

الجمال سينفض عنه الغبار، قطع ماسية ستظهر هذا اليوم ترجلن من سيارة فاخرة ودخلن مطعما يدخله أصحاب الملايير اخترن أبعد طاولة حتى يتسنى لهن المشي مطولا، فاستعراض الجمال هذه فرصته.

سيدة تصفع زوجها الذي أطال النظر بهن، فتوشوش حنان لرفيقتيها، العرض أمام الجمهور وأريد منكما براعة في الأداء.

يرحب بهن النادل ويوزعن الابتسامات خلسة، عربة جر ترسل إلى طاولتهن فيها ما لذ وطاب ومدفوعة الأجر من ذاك الذي يجلس وحيدا في الطاولة المقابلة، حنان تكتب كلمة للكريم فيوصلها النادل بعد إعادة التحية.

الأكل طيب وشبعنا يا حنان، نريد أخذ ما تبقى.

حنان كانت ترى أن المشهد يناسب الفقراء ولكن لا بأس ستتركهما وتتقدم من الكريم حتى تشكره، قدمت نفسها إنها منشغلة بتأسيس مؤسسة لتصدير الملابس وتبحث عن شريك ورفيقتاها من كبار مصممات الأزياء.

كيف للجمال أن يقتحم الصعاب ويفتح الباب الذي عدمن مفتاحه منذ خمس سنوات، يقمن في غرفة الفقر ولكنها آمنة.

أول عرض للأزياء العالمية تعرضه الرفيقات، صورهن تنتشر في الصحف والمجلات ومقابلات تلفزية، صار لزاما غلق الغرفة وتسليم القفل والمفتاح لصاحبه الشيخ الطيب الذي كان ملاكهن الحارس، دموع يذرفها وقبلات تطبعها الرفيقات على جبينه، إن أدارت لكن الحياة ظهرها، فغرفتكن لكن ولن يسكنها أحد بعدكن.

الحنونة حنان تضع بيده مالا وتعده بالزيارة في أقرب فرصة وتمازحه إن رفض أجر الغرفة ستغضب منه.

الرحيل عن الحي العتيق لم يكن سهلا بالنسبة لهن، فالأمان كان يجانبهن ممن جاورهن من عائلات فقيرة ومحترمة، العالم موحش قالت حنان لرفيقتيها وضمتهما إليها كونهما أصغر منها.

الشريك لا يظهر إلا صوته عبر الهاتف المسموع.

الأزياء الربيعية هذا العام تكون بألوان غير معتادة، عليك بتصميم نماذج جديدة، سندخل المنافسة، مروة الصغرى تتذكر رداء الشيخ الذي كان يرتديه ليلا.

تبتسم حنان وترد: تقصدين وشاح العم الذي نسجته زوجته من بقايا الصوف.

نعم، فهو زي تقليدي ونؤنثه ببعض التفاصيل ويكون غطاء الكتفين للفساتين القصيرة.

عبير تصفق والشريك يستمع للحديث فيصفق، تنتبه حنان لعدم قطع المكالمة.

ثاني عرض عالمي ربيعي تقدمه الرفيقات ويرتحن قليلا في بيتهن الجديد، لحظات من المزاح تقطعها حنان لهول الخبر الذي يبثه التلفزيون.

انهيار، انهيار، انهيار المبنى، الحي الذي أقمنا فيه، الرفيقات تصرخن، العم إسماعيل يحمل على حمالة والتراب يغطي وجهه وآثار الدم.

يحمن حول التلفاز، يضربن أخماسا في أسداس، يطلبن سيارة أجرة تقلّهن للمكان.

دمار خلفه سقوط المبنى، ضحايا نعم العم إسماعيل نقل للمستشفى وما ورد من خبر أنه في العناية المركزة.

مدخل المستشفى يعج بالصحفيين، لحظات غنمنها من سماع نفسه التي لفظها بعدها.

تخرج حنان باكية وتتحدث للصحفي بعزة نفس، فالصريع كان الأب الحنون لهن والمرافق الرابع ولا تليق به كلمة ضحية أو موت أحد المواطنين، إنه مصرع العم إسماعيل.

قبلة سباغيتي

وضع الكتيب جانبا ورفع بصره للسماء، كان الشاطئ يعج بالمصطافين والباعة المتجولين وجلبة غير معهودة شهدها هذا الفضاء، يبدو أن القراءة لا تلائم شعوره بالسخط على هذه الفوضى وهو الذي اقتطع إجازة أسبوع للاستجمام.

عاد لغرفته وأطل من الشرفة ليرى هذا العالم الذي يغطي واجهة البحر المفتوحة بخيمات توحي بوقت مضى قد يعود لحروب الأربعينيات، لم أعد أحتمل يا إلهي ورمى بالكتيب على الأرض.

يصدر صوت أغنية لجاك بريل من الغرفة المحاذية لغرفته يدور صوب المصدر وهو يهم بالتقاط الكتيب، يرى سيدة تقوم بحركات رياضية عشوائية لتقدم له الفوضى في أقسى صورها.

تستمتعين بأغنية جاك بريل وتمارسين رياضة غير مفهومة!!

أي فوضى هذه يا إلهي.

اخفض صوتك، صغيري نائم وسيستفيق ويبدأ بالصراخ والحليب أوشك على النفاد.

أغلق باب الشرفة وهو يستشيط غضبا، جاك بريل بصوته المدوي وصغيرها نائم وحركاتها الرياضية غير متناسقة!!

ما هذه الفوضى!!

يسلم مفتاح الغرفة لعون الاستقبال ويعتذر منه، سأدفع مقابل ليلة واحدة، سأغادر المكان.

يأتيه صاحب النزل ويدعوه لمرافقته لمكان قد يناسب ذوق النزيل وتطلعاته فيوافق.

كان اليهو يعج بالصحفيين ينتظرون نزول شخص مهم من غرفته، تملّكه الفضول وبقي ينتظر إحدى الصحفيات وكانت قصيرة القامة تحاول اختيار زاوية مناسبة للتصوير، كان يراقبها ثم أخذ منها الكاميرا ونزلت تلك السيدة تحمل طفلها بين ذراعيها.

إنها من معجبات المغني جاك بريل، يسألها الصحفي كيف احتفظت عائلتك اليهودية بوثائق النزل والمفترض أنه مصادر من مالكه الجزائري والفعلي!

اقترب النزيل منها وسألها وهو يصور.

هل النزل ملك لعائلة يهودية وهو يعود لسنوات الثلاثينيات من أين لكم بحق الملكية؟!!

ترد ما هذا السؤال؟

عليك بالرد.

وراح يسرد تاريخ وطن فيطلب له الأمن لأنه هاجم رعية فرنسية تطالب بحقها وفق القانون ثم إنه انتحل صفة صحفي ليجد نفسه يقضي الليلة في قسم الشرطة.

انتظرته الصحفية ودعته للغداء بمطعم قريب وطلبت وجبة سباغيتي على الطريقة الإيطالية.

أعتذر منك بشدة ولكن أنت تثير فضولي، ساخط على كل شيء.

رد ممازحا: لأنك الفوضى التي عمت المكان بالأمس وتسببت في مبيتي بالزنزانة، لمَ لا تعملين عملا آخر غير الصحافة فهي لا تناسب قامتك

جئت لأجلك، وأنا أكتب في أمور أخرى وأحولها إلى أفلام وثائقية وسردك لتاريخ وطن يجعلني أطرح الأسئلة.

أنا مواطن يحب وطنه ويدافع عنه ويغار عليه.

لديّ تصوير فيلم قصير وأمثل فيه دورا مميزا، هل تحضر للكواليس؟

كما لو أن الدعوة تروق له يبتسم ويرد بالإيجاب، كانت الممثلة تمرر السم للجندي الفرنسي بشفتيها الممتلئتين فيشتد مغصه ويتلوى ويسقط أرضا لتجرده من سلاحه وبدلته العسكرية.

ينتهي التصوير ليعلّق على المشهد، هل هكذا تجاهدين!! بالقبلة المسمومة، أي إغراء هذا!!! وهل هو جائز في الشرع فتتهمه أنه إخونجي، يعتذر منها ويقبل منها قبلة سباغيتي.

خطأ في الوجهـة

يضع باقة الورد في المزهرية المشروخة، كانت الآنية من بقايا زوجته التي رحلت دون أن يحظى منها بمراسيم وداع تليق بهما تناثرت أوراق الورود التي تسلمها في حفلة صغيرة محدودة الدقائق.

شكرا لأنك قضيت فترة طويلة وأنت تعمل بجد في وظيفة ساعي البريد.

دقات على الباب ليتسلم ظرفا من ساعي البريد وكان شابا بمقتبل العمر، دعاه للدخول وقدم له فنجان قهوة.

كان الشاب يتفحص العجوز بدري وهو يلامس المزهرية برفق ويرتشف قهوته، أنصحك بشراء آنية تضع بها باقة الورد، وحوّل نظره للشاب يرقب ردة فعله.

الشاب لا يزال صامتا، فانفجر العجوز ضاحكا:

قد تقول ماذا يقول هذا العجوز ولكن لا عليك، افتح الظرف واقرأ المضمون.

كانت دعوة لحضور لقاء قد يدوم أسبوعا مع الأصدقاء القدامى في فندق شهد مشاكساتهم وعلاقاتهم بالنسوة اللواتي كن يترددن على هذه القرية الصغيرة التي تنفس فيها بدري والتقى زوجته التي قبلته زوجا بباقة ورد وخاتم بسيط، أدار الأرقام، فرنّ الهاتف الثابت ورد عون الاستقبال:

غرفتك محجوزة سيدي، ننتظر قدومك.

كم عدد الأصدقاء الذين أعرفهم؟

هم ثلاثة يا سيدي.

ثلاثة أصدقاء لا يزالون على قيد الحياة وبدري رابعهم.

ينصرف ساعي البريد الشاب بعدما أحكم قبضة يده على العجوز مصافحا وشاكرا له لذة القهوة.

حمام ساخن، واستخرج من خزانته بدلة عرسه التي بقيت في حالة جيدة، حاول عقد ربطة العنق ولكنه لم يفلح فرماها جانبا، وخرج للشارع الكبير، أوقف سيارة أجرة وتفاوض مع السائق في الأجرة، إنها مسافة سبع ساعات وأريد أن أستقلها بمفردي، لا أريد الإنصات لمزيد من حكايا الركاب التي يبدعونها وهم على الكرسي الخلفي.

انتظرني في ذلك المقهى حتى أزود السيارة بالوقود، قلت مسافة سبع ساعات وسنصل إلى القرية وقت المغيب وعليك باقتناء بعض المشتريات، فطائر وعبوات الماء.

الطريق لا تزال ضيقة وصعبة لكثرة المنعرجات، أصبت بالدوار والغثيان، طلبت من السائق التوقف حتى أفرغ ما في جوفي.

قال السائق وأنا أيضا ينتابني الشعور ذاته، الدوار والغثيان علينا بالراحة قليلا، السائق وجدها فرصة للفضفضة وهو يتأمل الوجه المتعب للرجل ولكن لمَ تعود لمثل هذا المكان الذي هجره ساكنوه منذ عشرية دامية؟

لي أصدقاء ينتظرونني في الفندق الصغير، الهواء نقي، كنت أتردد على هذا المكان في شبابي والتقيت زوجتي وكانت من دولة أخرى وعلمتها لغتي فتحدثتها وكتبتها، كانت كاتبة وتسجل الأحداث السعيدة فقط وتتجاهل الحزين منها وأوراقها محفوظة ولم تطبع بعد ولكن سأطبعها إكراما لرحيلها.

تتوقف شاحنة صغيرة، البائع ينادي الشخصين، خذا مني بطيختين، المسلك خال من السالكين وكأن القرية التي هناك مهجورة، صحت لساعات ولم أر أحدا.

الشيخ وقد اعتلى وجهه الشحوب، كيف تلقيت الاتصال وكيف علموا بتقاعدي ذلك اليوم، أشك في الدعوة التي تلقيت ربما فخ، لنغادر المكان حالا.

انطلقت الشاحنة الصغيرة متبوعة بسيارة الأجرة، كانت الشاحنة تسير ببطء واضح ولم يتمكن السائق من تجاوزها نظرا لضيق المسلك الوعر، العجوز يعدل عن قراره، ويطلب من السائق دخول القرية والدفع له بسخاء، السائق يوافق ويقوم بمناورة يستعرض فيها مهاراته في السياقة ويلقى الثناء من العجوز.

- هل سابقت السيارات من قبل، لا تقل أنك مجازف، هذا ما ينقصني ليتوقف نبضي.

السائق لا يهتم لكلام العجوز ما دام الدفع سيكون بسخاء.

ملامح شخص مربوط إلى جذع شجرة تنتهي عند منحدر مرتفع، أنين وبكاء ويبدو الصوت لفتاة شابة، ترجلا واقتربا من

المكان، كانت على وشك السقوط ومنهارة وتتشبث برباط محكم على يديها الناعمتين وآثار السوط على كتفيها، السائق فتح فاهه لهول المشهد واصفر وجهه، العجوز قام بقراءة سريعة لمرافقه وقال: أنت أجبن شخص على وجه الأرض، لننقذها، اتبعني.

البنت وقد جف دمعها من مقلتيها تلمح بصيص الأمل لحياة باقية، يسحبها منقذها ويعتذر لها لأن الإنقاذ تم بقسوة، البنت ترتمي في حضن العجوز ويمنحها دقيقة للبكاء ثم يسألها عن خطبها فترد أنها أخطأت الجهة وهي باحثة وقد سرقت سيارتها وعنفت من طرف شخص ملثم صوته أجش ولكنها بخير.

يسألها مجددا، هل مرت من أمامك شاحنة صاحبها يبيع البطيخ؟

ترد بالإيجاب وتحدد مواصفاته، ولكنه لم يقترب منها بل فرّ هاربا منها ولم يقدم لها المساعدة، ولكن هل بائع البطيخ أخطأ أيضا في الوجهة ولا توجد علامة تدل على أننا في الوجهة الخطأ.

القرية لا تزال بعيدة هكذا ردد العجوز والفندق يقع خارج القرية ويتوسط الجنان الخضراء وكنت ساعي بريد وعملت لسنتين وكنت أنقل الرسائل للنزلاء ومن بينهم كانت زوجتي مليسا التي لم تنجب مني واحترمت قرارها وهجرت البيت لشجار دب بيننا ثم سمعت أنها سافرت لبلدها وماتت هناك.

حل الظلام واقترب الثلاثة من مدخل الفندق منهكين والهدوء يخيم على المكان ولم يكن عون الاستقبال بمكان عمله والساعة الحائطية تشير إلى الثالثة فجرا.

نام الثلاثة على الأرائك المعدة لاستقبال النزلاء ويدخل العون ويوقظهم ويقدم لهم قهوة والابتسامة لا تفارق وجهه، العون وهو يرتب مفاتيح الغرف: تأخرتم كثيرا والجماعة غادروا ويظهر أنك أسست عائلة رائعة من بعدها.

العجوز: من تقصد؟ من الجماعة؟

العون: كانت العجوز مليسا هنا وانتظرتك ثم غادرت حزينة كانت برفقة آنسة جميلة وكانت تناديها أمي.

العجوز: ولكن مليسا متوفية منذ ثلاثين سنة أو أكثر، أين هي غرفتها؟

يرافق العون ويدخله الغرفة ويعثر على صورة العجوز مليسا تعانق ابنتها، يغادر الثلاثة الفندق ويلتقون ببائع البطيخ فيخبر العجوز أن السيارة مرت من نفس الاتجاه، ساعتان هي مسافة السير وتلمح الباحثة سيارتها وتشير إليها وهي باكية صارخة: هذه سيارتي.

السائق يتلقى الأمر بالإسراع وإيقاف السيارة فكان له ما أراد مناورة صفقت لها الباحثة كثيرا وسرّ لهذا السائق.

توقف الزمن في هذه اللحظات، مليسا على قيد الحياة وابنتها معها وصارت ثلاثينية، بدري أحضر في الحين دفتر الماضي أحببتني

أ ليس كذلك، ثم هجرتني، ورفضت الإنجاب مني ثم اختفيت وأعلن رفيقك خبر موتك في بلدك، وأنت حية ترزقين في حضن آخر، الخيانة أثمرت بنتا جميلة مثل أمها.

تترجل العجوز مليسا بضع خطوات تجعلها وجها لوجه مع العجوز بدري.

أنت من أقدم على خيانتي مع رفيقتي ذات يوم وكانت حاملا وأنا كنت حاملا أيضا وماتت رفيقتي ودعوت ابنتها حتى ترى والدها وترى أختها وحتى تراني لأخبرها أن أمها كانت خائنة وأنها ثمرة الخيانة.

وأين هي ابنتي الأخرى؟

ها هي أمامك، صارت باحثة ووجهت لها دعوة كما دعوتك أيضا لهذا اللقاء المقرف، كم غرفة اقتحمتها وأنت تقدم الرسائل للنزيلات؟

السائق مندهش من غراميات العجوز ويهز رأسة لدرجة السخرية، ساعي البريد أوفر حظا مني في استمالة النساء.

العجوز: اخرس. ثم لطمه.

يركب السائق سيارته وينادي الباحثة: هل تأتين معي أم تقلين سيارتك مع أبيك المقرف وزوجته المقرفة وأختك البليدة التي تظهر عداءها لك في نظراتها.

سأستعيد سيارتي منهما ونقوم بسباق.

يظهر السائق موافقته ويتابدلان الابتسامة.

تقترب الباحثة من الآنسة وتستعيد مفتاح السيارة وينطلق السباق بينما يبقى العجوزان يتقاذفان تهم الخيانة.

إني أحترق يا رونق

كان يتوقع مصادفة حبيبته في مدرج الجامعة لأن الطالبات يتواجدن في هذا الحرم، هن إناث بالنسبة إليه لا يخرجن عن الطبيعة، سيلتقي إحداهن دون الغوص في تحديد المواصفات أن تتقبله وتحبه ويرمي الورود على قدميها ويهرول لأمه يخبرها بسعادته، ابنها القبيح صار عاشقا، ثم تنهد وانزوى في الركن ولام نفسه كيف لم يروضها! ويكبح جماحها!

ما الذي تريده الأخريات؟!!

توقفت سيارة الإسعاف والتف الحاضرون منتظرين من سيحمل على وجه السرعة للمستشفى.

من؟

يقولون من؟

حتى هو سأل السائق، من؟ من تأخذونه للمستشفى؟

إنها طالبة مريضة.

كانت رونق مغشيا عليها وشعرها المنسدل يغطي وجهها الطفولي، رونق التي سخرت منه تنقل على نقالة يحملها عونا التمريض، وشوشة الطالبات حول مرضها تخترق سمعه، إنها تعاني من تعب في كليتيها وتلقت صفعة غادرة من الطالب الثري الذي تمنته، كان يبيت الليل محللا لما تريده الأخريات.

الطالب الثري غدر برونق ورونق عليلة وقلبه عليل، كيف يجعلها تحبه وهو الذي غفر لها سخريتها منه وساعدها مرارا ولم تكن أبدا تقدر صنيعه، ماذا تريد الأخريات، ثم ينقلب في فراشه وينام لساعات، كان يخترق الممر كوميض سرعان ما يتلاشى يقلب في ما حوته ذاكرته من عمل بطولي افتك به ابتسامة من شفتيها الورديتين، ذلك اليوم تشاجر مع الشباب لأجل حمايتها وهي تهم بالعودة إلى بيتها، كان قويا شجاعا لحد ما ثم تلاشت تلك الصورة التي رسمها لثوان أمامها ونال من الضرب المبرح ما لا يتحمله، كل هذا ولا يزال يسأل نفسه ما الذي تريده الأخريات؟!

في رواق المستشفى كان يستنشق رائحة رونق ويقترب ويطل من الزجاج العازل ويد تهز كتفه فيلتفت، أخبر أهلها أنها بحاجة لإجراء عملية جراحية وزرع كلية لها.

لن أتأخر عن تقديم كليتي لها ونحن حاملان لنفس الزمرة الدموية، سبق لي وأن أنقذتها متبرعا بدمي.

الطبيب: ستنقذها وتقدم لها حياة ثانية عسى أن تقدر سعيك الإنساني.

ولكن أنا أحبها وستعلم بهذا حالما نستفيق من التخدير.

ساعات بعدها وتجمعهما غرفة العمليات، كان المكان الوحيد الذي ضم سريرين لهما ويشق ظهريهما فتزرع كليته بجسدها وصارت مدانة له، ما الذي تريده الأخريات؟؟

ما أراده رزق هو البقاء إلى جانبها ولكن يختلفان للمرة الثانية في الوجهة، تحفظ جثته في الثلاجة وتتجمد، هكذا أخبر الطبيب والدته ودعاها لكتم السر، بينما تجمد قلب الفتاة التي تطلب من الممرضة غلق النافذة وسحب الستار حتى تنعم بالظلمة في الغرفة.

تخرج رونق كسيرة الفؤاد ولا تستطعم فرحتها فتبارك لها والدة رزق، جئت في هذا اليوم حتى أرى فيك ولدي الذي تمنيت له أن يحب ويحب ولكن ما أردت به كان شنيعا.

رونق متفهمة، عفوا، ولكن من أنت وماذا تقولين؟! لست أفهم!!

فتفهم الكثير بمكتب الطبيب، فرزق رفض أن يخبر أحدا بما قرره يومها كما لم يكن ينتظر أن يساق لقدره ويموت، كان مستعدا لإنقاذك في يوم كنت وحيدة، ضعيفة وشاحبة ثم تغادر المكان قهرا.

يرن الهاتف فيرد الطبيب، إنها تحقق في الأمر.

خطواتها ثقيلة تخط بها الرصيف الذي سكنه الخريف وغزاه بأوراقه اليابسة تتساقط فتختار خصلات شعرها وطنا، تدخل إلى كافيتيريا وتلمح شابا يخرج للتو يتكئ على عصاه، تتفحصه بنظرة خاطفة فتتلبد عيونها وتتشوش رؤيتها فتستعين بنظارتها.

ترتشف زنجبيلا حارا فبرودة الطقس تُعجّل بدخولها إلى البيت وتستلقي على سريرها بحذر شديد.

رزق يدور في مخيلتها وتستعرض صورا كثيرة لم تنتبه لها ظهر فيها في صورة المحب، لم يكن على قدر من الوسامة ولكن كان على قدر كبير من الرجولة والعنفوان فتنقلب لترى صورة الثري الوحيدة والمتكررة، سيارة فخمة وجسد ضخم وابتسامة بدون طعم ونكت تافهة يرويها كل مرة.

رزق أحبني وخاطر بحياته لأجلي بينما الثري أراد التسلية ورمي الأوراق المالية تحت قدمي، رزق فرش الورود وقاتل الأشرار وتحمل الصعاب، كانت تنبش القبر بأظافرها باكية تتخيل وجهه الباسم على الثرى المصفر بأنواع الزهر، بحق السماء ما كنت أريده كان السراب بينما رزق كان الواقع الجميل.

كان المغيب يسيطر على كل شيء في المقبرة، مغيب رزق ومغيب الفرح ومغيب الحب الصادق الذي يقبع تحت الثرى للأبد.

عانقته أخيرا ميتا لتستشعر ذراعين تطوقانها، كان رزق حيا يرزق يرى البذرة التي زرعها تتبرعم كل يوم تزور فيه رونق القبر الوهمي، وتبكي وتخرج كلمات حقيقية من قلب محب.

نظر إلى عكازه الذي يسنده وحالته التي تسوء يوما بعد يوم وحالتها التي ساءت ونظارتها التي فقدت، لم تعد رونق التي تسحر الفتية حتى إنها نادت الثري ولم يتعرف على ملامحها فتواصل السير على وهن وتسقط مغشيا عليها فيحضر الإسعاف كانت الفرصة التي لاعب فيها رزق خصلات شعرها.

الأراجوزاتي موسى والأخريات

هذه خامس حصالة من الفخار أكسرها وأعد النقود التي وفرتها مما تقاضيته من صاحب مسرح الأراجوز، إنه شحيح وبائس يعيش بمفرده في بيت قد خصص جزءً من مساحته للمتفرجين، جلّهم من الأطفال الفقراء الذين حفظوا العروض كنت أستمتع من خلف الستار وأنا أصغي لصغيرتين ترددان الحوار المفترض ما بين العروستين السوداء والشقراء وينتقل الشجار المفترض إلى حقيقة وواقع مر.

أعود بعدها مع زميلي خلف الستار ونواصل العرض بعد فض الشجار، ويعود الهدوء إلى المكان وخرجنا يومها عن النص زميلي يردد: أحبك يا دميتي ثم يشرك الأطفال في العرض ويسألهم: من يحب سيلينا أكثر مني؟

الجمهور: نحب سيلينا، نحب سيلينا.

- لماذا؟

- لأنها دمية وتحب الصغار.

تعرض موسى لعقوبة الفصل من المسرح، رأيته يغادر غاضبا فاستوقفته حتى أفهم قرار ذلك البائس ولكن لم يمنحني الفرصة، استعلمت من الإدارة، كان الفصل ورأيته قرارا تعسفيا في حق موسى، دخلت مكتب ذلك البائس فحمّلني بعض الوزر مما

حدث وهددني بالفصل فصحت في وجهه: أيها البائس أنا مغادرة بمحض إرادتي.

أين موسى الآن!

فكرة التسكع في سوق الأقمشة راقت لي حتى رأيت موسى داخل أحد المحلات، كنت أختلس النظر لما يفعل!

ربما سيصمم عرائس جديدة ويخطط للعرض في الشوارع كان يحلم بهكذا عروض ولكن قريتنا صغيرة وقليلة السكان ومعظمهم يعملون في البستنة عند أحد الخواص.

علاقتي بموسى تعود لأيام تواجدنا بدار الطفولة المسعفة كان الوحيد الذي يقبل اللعب معي والحديث عن وجودنا في هذا المكان الذي يعج بالأطفال مجهولي النسب، كنت اللؤلؤة السوداء الوحيدة بينهم وحتى موسى كان أشقر، كيف لطفلة سوداء أن يكون لها وافر الحظ في مجالسة موسى، كنت أرى الصغيرات عنصريات.

إنه عيد ميلادي الثلاثين وكان لا بدّ من وجود كعكة من أرقى محل وأنا محاطة بهؤلاء العنصريات اللواتي قدمن للأكل وليس لمجاملتي، نرجس التي تسعى للظهور على حسابي في كل فرصة أكرهها وأتضايق من تواجدها، حتى مسرح العرائس اقتحمته وكانت تفشل في كل مرة فأعوضها حتى لا ينسحب الجمهور.

كان يوم مولدي بحسب شهادة الميلاد التي لم أقرأ فيها سوى اسمي (سيلينا)، من أطلق هذا الاسم كان موسى وكان يكبرني

بثماني سنوات، كان يعتني بي ويضمني إليه كلما تعرضت لبطش الصغيرات العنصريات، كان يدافع عني ويقول: إنها دميتي السوداء !!

جميعنا في أرقى مطعم يقدم الحلويات والشاي وحتى تنظيم أعياد الميلاد، كانت فكرة موسى وسعدت بها ولكن أراه قد تأخر في الحضور وأرى الآن العنصريات يتهكمن.

أرى الأشقر يدخل من الباب الدوّار وهو يحمل علبة طولية الشكل وقد لفّت بشريط أسود، ابتسمت لأني أدرك أن كل لون أسود هو ملكي، لم يضعها على الطاولة بل كان يمسكها بقبضة محكمة ثم نادى النادل: أحضر الكعكة وشغّل موسيقى هادئة فهذا عيد ميلاد رفيقتي ومؤنستي ولؤلؤتي السوداء.

كنت أرى المحل لا يتسع للأخريات، بعد تقطيع الكعكة والتقاط الصور، وجدتني بين ذراعي الأشقر يراقصني مثل الأميرات ثم همست في أذنه: ما تحويه تلك العلبة؟

استوقفني قليلا وطلب انتباه الجميع: سيكون لنا مسرح خاص بنا، واخترت ممثلة من بينكن حتى تجوب معي العالم ونعرض عروضنا في الشوارع وسأطلب من سيلينا فتح العلبة الآن.

وجود الشريط الأسود على العلبة كاف لأطمئن وأكون أنا من تجوب العالم بمسرح العرائس، كانت عروسا سوداء، فرحتي كانت كبيرة، أنا من سترافق الأشقر في جولاته.

تذمر كبير من الحاضرات، عانقت الأشقر وغادرنا المطعم وأنا ألوح للمارة بالعروس السوداء.

تبادر إلى ذهني هذا السؤال: من أين لك بالمال يا موسى؟

لقد دفعت للنادل بسخاء، وجلبت لي دميتي السوداء.

كان يبتسم وفهمت أن وراء هذه الابتسامة مقلبا ناجحا، فأنا أعرف مشاكساته منذ الطفولة، كان يسرق ممتلكات الأطفال ويبيعها في السوق ويجلب بثمنها شوكولاتة ولكن هذه المرة غابت الشوكولاتة.

- كل ما جناه ذلك البائس الذي استغل جهودنا في مسرح العرائس صار بجيبي.

- هل اختلست ماله؟ سيشكوك للشرطة!

بعد عمر طويل إن شاء الله (يضحك بنشوة النصر).

- لن أرحم أحدا، سأصبح غنيا وسأتزوجك يا سيلينا، هل تقبلين عرض الزواج؟

تحسست حرارته، أمسك بيدي وطبع عليها قبلة وقال:

سننتقم من هذا العالم البائس!

رأينا نرجس تركض باتجاهنا وكانت تلهث، لم يمنحها موسى فرصة استعادة أنفاسها التي كادت تنقطع.

- نرجس يا وجه النحس، ما الأمر؟

- الشرطة، الشرطة تبحث عنكما، ذلك البائس أبلغ عنكما ولكن ماذا فعلتما؟؟

- غادري، الوقت ليل، عودي إلى وكرك يا مشردة.

- لن أفعل، سأرحل معكما.

ضاق صدري من وجود نرجس في حياتي، إنها هنا لأجل موسى، شيء من الحب تكنه له، إنها شقراء جميلة وتناسبه صمت ساد للحظات وتنهيدة موسى العميقة كانت بسبب تذمري.

صفير سيارة الشرطة تجعلنا نفر من المكان، انتهى بنا المطاف عند ميناء وكانت السفن تغطي المياه وأصبح موسى المشاكس قائدنا ونتلقى منه الأمر فننفذ وحسب، غاب بريق الحب من عينيه واستبدل بنظرة الشر، أمرنا بالسباحة والتخلص من أغراضنا ولكن رفضت التخلص من عروستي السوداء وحتى نرجس تمردت فحقيبتها الصغيرة تحوي أحمر الشفاه وفستانها الأحمر المسروق من أرقى محلات المدينة.

وافق على مضض وقفزنا إلى المياه، نرجس تظاهرت بالغرق حتى ينقذها موسى، صارت بين ذراعيه الآن، بينما أنا كنت من وجدت المنفذ، كانت سفينة تجارية، تحوي صناديق الفاكهة التي ينتجها فلاحو البلدة، نمنا ليلتها نوما عميقا، استيقظ موسى قبلنا وقال: إنها طيور النورس!

فركت نرجس عينيها، إنها كسولة، فتحت حقيبتها وأخرجت المرآة وأحمر الشفاه واستخدمته على شفتيها، موسى متذمرا:

- لن ينفع جمالك في هذا الموقف، كل الحيطة والحذر مطلوبتان منكما، سيلينا راقبي المخرج.

لم أر أحدا من راكبي السفينة، ربما هم نيام قلت: لنقفز في المياه وفعلنا، سبحنا حتى وصلنا للمرفأ وكان التعب قد أنهكنا.

اخترقنا جموع الزبائن وقررنا تقسيم الأدوار، أنا خادمة السيدة الشقراء وهذا أسعدها ورأيتها تبتسم بخبث استفزني أنا حرّة ويمكنني تركهما وشأنهما ولكن موسى حثنا على الصمود والتكاتف فيما بيننا.

تعرف إلينا أحد الحمّالين يعمل في السفينة التجارية منذ سنوات، اقترب منّا وابتسامته تسبقه.

- حمدا لله على نجاتكم من بين يدي الشرطة.

ثلاثتنا في حالة من الذهول.

- ولكن؟

- هل نمتم جيدا؟

- ثلاثتنا: حمدا لله وشكرا على قضاء الليلة على سفينتكم.

- صاحب السفينة يريدكم في أمر يعود بالنفع عليكم.

تبعنا الحمّال واجتزنا الممر الخشبي الذي يوصل السفينة بالمرفأ، الحمّالون ينزلون البضاعة بكل نشاط، دخلنا لمخزن المؤونة، كان هناك إبريق من الشاي يفوح عبقه محضر للتو وكان الرجل حسن الهندام ومتوترا، أشار للحمّال بالمغادرة وطلب منا الجلوس فجلسنا وتوسطنا موسى وكل واحدة شدّت على يد، أطال صاحب السفينة النظر إلينا ثم قدم لنا أكوابا من الشاي وعاد لمجلسه.

كنا نستمتع بمذاق الشاي ونتبادل نظرات الاستفهام بيننا وضع موسى الكوب وقال: هات ما عندكم يا سيدي!!

- لي ابنة وحيدة تمردت منذ سنوات وأريدك أن تعيدها للبيت.

قام وأخرج من الدرج صورتها وناولها لموسى، اندهشنا لجمالها ورشاقتها وحلو ابتسامتها واتساع عينيها وشعرها البني المنسدل على كتفيها.

نظرت إلى نرجس كما لو أنها بلعت لسانها وأنا نظرت إلى سواد دميتي المقرفة، موسى لم يبعد نظره بعد عن الجميلة.

- أين يمكن أن تكون؟

- في هذه البلدة.

- ولكن لمَ لم توكّل المهمة لأحد موظفيك، لمَ أنا؟

- اجعلها تحبك وتتزوجك وأنجب منها أحفادي وستصير سيدا غنيا يوما ما.

- أقبل الشطر الأول فقط من عرضك هذا، ولكن لا يمكنني الزواج!!

- هل أنت متزوج؟

- أحب هذه السوداء ولا أريد غيرها.

- هل ترفض ابنتي أيها اللص؟!!

ذهلنا، إنه يعرف كل شيء، ولم يزعجنا ذلك اليوم، وتركنا ننام ونرتاح، يبدو أنّ له عيونا بكل مكان تترصدنا وصرنا في قبضته، موسى مصرّ على الرفض وصراخه يعلو، وصاحب السفينة تناول

تحفة نحاسية وضربه على وجهه وسال دمه، إنه يسقط أرضا ونرجس تصرخ رعبا وأنا تقدمت من العنيف وأطرافي ترتعش وقلت: قبلنا عرضك يا سيدي ولكن نحتاج عدة الدواء حتى نعالج جرحه في الحال أخشى عليه من العفن.

وضع بقربي العدة وغادر المكان، رأيته يحدث حمّالين من خلال نافذة دائرية الشكل وهما يصغيان بانتباه، مسحت الدم ووضعت ضمادة على الجرح كانت نرجس قد عقمتها، الحمّالان يقدمان لنا المساعدة وينقلان موسى لغرفة خاصة.

مالك السفينة يقايضنا في هذا الظرف السيء، موسى في شبه غيبوبة في الغرفة الموصدة، علينا أن نجد الفتاة المتمردة حتى يسلم لنا صديقنا المصاب وفي حالة فشلنا سيتخلص منه رميا في عرض البحر، حياتنا البائسة في الشوارع كانت أرحم مما نشعر به الآن، طلبت مساعدة نرجس فهي ذكية للغاية وتحسن الحديث مع الناس وتستخدم جمالها الفاتن للتأثير عليهم، جبنا السوق الشعبي، كان زقاقا مكتظا بالزبائن من الجنسين أصوات الباعة تختلط ببعضها.

- ركزي إن سمعت صوت فتاة يا نرجس.

- علينا التسلل حتى نهاية الزقاق ثم ننتقل إلى وجهة أخرى.

كانت هناك لحسن حظنا، تعرض عبوات معجون البرتقال وتطأطئ رأسها استحياء من نظراتنا، جذبت نرجس من يدها وأشرت إلى حيث تتواجد الفتاة لوحدها.

- إنها حقا الفتاة المطلوبة.

- لا زبائن، لا تنادي ولا تروج لبضاعتها.

اقتربنا منها، نرجس تسأل عن ثمن العبوة الواحدة، الفتاة لا تجيب وتكتفي بالتحديق بنا، نرجس تضع عبوتين في الكيس وتناولها المبلغ واستدرنا، الفتاة تلحق بنرجس واستخدمت الإشارات للتواصل.

- يا إلهي! إنها خرساء.

كانت ليلة مقمرة، جعلت كل من بالسفينة الراسية يتسامرون وكان الأمر عاديا لدرجة أن مالكها كان يتحدث لأحد أعوانه بخصوص الأيتام، كنت أسترق السمع خفية عنهما بينما كانت نرجس تتأمل النجوم كما لو أنها تراها للمرة الأولى، كانا يتابعانها بأعين مشدودة لجمالها.

- كنت أجلب الأيتام وأفرغهم مثل الحمولة في تلك البلدة البائسة، كنت أقبض أجرا على كل لقيط يتخلص منه ذووه وكانت ابنتي التي كرهتني وهجرتني عندما بحت لها بحقيقتها.

كنت أبيت الليلة بفندق العاهرات وكنت شابا يافعا ولكنها حملت مني أو من غيري وعند رحيلها سلمت لي الطفلة بعمر السنتين.

فرار موسى وصديقتاه جعلني أتذكرها حتى أعيدها للحياة الجميلة ورأيت أن موسى شاب ذكي وله من الطموح للثراء ما

يجعله يقبل الزواج منها وأغير نظرتي للحياة وأتقبل هؤلاء اللقطاء جميعا.

شعرت بالغيرة كما شعرت أن روحي تنسل مني، مالك السفينة يقدم ما ملك لموسى ونرجس يساعدها الوضع فهي جشعة للمال ولصة محترفة، حتى الخرساء ستتموقع الموقع الجميل بين كل هذا .

أنين موسى ينبعث من الداخل، هرعت إليه كان يناديني: سيلينا، سيلينا.

وجدت الخرساء بالقرب منه تراقبه حتى استفاق، كانت بملامح هادئة وابتسمت، جلبت مالك السفينة وهي ممسكة بيده كما لو أنها تعجل بإقامة العرس.

الأهازيج ورقص المالك مع موسى والخرساء والشقراء نرجس في حلقة لم أستدع لها، كنت أقدم الشراب وما لذ وطاب من الطعام للحضور، كنت أتساءل إن الحياة تعيد ترتيب مراتبنا وأدوارنا بحياة بعضنا.

شيء من مسرح الدمى يا سيلينا، كان مالك السفينة يطلب تسلية على حساب أعصابي، حملت دميتي السوداء ودخلت، لم أجد كلاما حتى أقوله في العرض ولكن قلت: سأجرب السباحة وسأقاتل السمكة الكبيرة ولكن ما لونها؟

الحضور: حتما هي سمكة سوداء.

قهقهات الحضور.

قفزت للماء وصرت أسبح كان شعورا مخيفا، أن أنتحر بهذا الشكل، صرخت وكلّت ذراعاي، لم أستنجد بموسى، نرجس قفزت في الماء وكانت تسبح وتقترب نحوي شيئا فشيئا ثم أمسكت بي، كانت تمسك برأسي حتى آخذ نفسا وتشجعني حتى نقترب من اليابسة، كانت تضع شيئا على ظهرها، استلقينا ثم سألتها وأنا منهكة:

ماذا تحملين؟

قالت: كل مال المالك بحوزتي، لقد بعت موسى.

حرز الطيار والعصفور الصغير

يستدير المعلم برشاقة ويكتب على السبورة تاريخ اليوم ثم يشق كالسهم السريع الصفوف المتراصة بالطاولات، لقد سمعت وشوشة جاءت من هذه الناحية، كان يقصد التلميذين حمزة ورؤوف فاحمرت وجنتاهما خجلا وطلبا الصفح، وشوشة أخرى تخترق مسامع الرشيق ويقف أمام التلميذ حرز الذي لم يرفع بصره فقام المعلم بطرق الطاولة محدثا نوتات موسيقية تسببت في حالة انشراح لدى الجميع.

ماذا قلت؟

سألت عن الوقت.

كيف؟

كم بقي من الوقت ويدق الجرس.

لماذا؟

فقط أردت...

المعلم بصوته الأخن وغير المسموع.

هيا، اصعد للسبورة وحدد التوقيت الآني برسم ساعة كبيرة تتضح للجميع.

رسم حرز ساعة، وحدد الوقت العاشرة تماما وهو موعد دق الجرس، فدق الجرس، وضحك الزملاء الصغار.

الرشيق يومئ لهم بالخروج فيفعلون، كان حرز على غير العادة يسرع في مشيته، ثم انعطف ناحية الحديقة، تبعه زميله الذي تملكته الحيرة، وهو يلهث بسبب وزنه الزائد ومحفظته الكبيرة، التي حوت رفوف مكتبة بها.

حرز، انتظرني.

حرز تغمره الفرحة للحصول على ضالته، كان عصفورا صغيرا وقد فشل في محاولة الطيران الأولي، يحمله بين يديه الصغيرتين ويطبع على رأسه قبلة.

يرى زميله الكائن الضعيف ويستغرب من رحمة حرز به.

الزميل: سيموت بين يديك، وتقول أمي إن غير الذبيح هو جيفة، هيا اذبحه ثم أشويه أنا وألتهمه في لقمة ويتلذذ السمين الطبق اللذيذ بمخيلته.

حرز يضع الضعيف جانبا ويواجه القوي في محاولات فاشلة الضعيف يئن والقوي يقترب منه ويستجمع حرز شتاته وينجح في دفع الجشع ويعود الرحيم للضعيف مسرعا وينطلق بسرعة السهم على عادة معلمه وبتقليد للصوت الأخن يقول: الحق بي يا سمين.

في البيت يختار حرز زاوية آمنة فالقط المرقط يجول على غير العادة، ومواؤه جعل سيدة البيت تفتش في الأرجاء.

متى عدت يا حرز؟

وما الذي تخفيه في الزاوية؟

أرني ماذا تحاول أن تخفي.

أمي، إنه عصفور وقد أصيب في رجله، ساعديه حتى يتعافى ومن ثم أعيده لأمه العصفورة ويعيد الكرة في الطيران ويحلق بعيدا.

لم ينم حرز تلك الليلة ويقوم ويتفقد الضعيف ويغير ضماده وهكذا كان الحال لليال عديدة انتهت بالفرحة السعيدة العصفور يحرك جناحيه محاولا الرفرفة، يحمله وهو يراقب المسلك حتى يوفر الأمان للمخلوق الضعيف، كان يقترب وتقترب لمسمعه زقزقة السرب الذي يستعد للطيران، إنه توقيت الفراق الذي يفصله بآخر صورة نقشت في مخيلته، الطيران والتحليق عاليا وهو ينظر للسحاب الكثيف من خلال نافذة الطائرة وتتراءى له بلدته الصغيرة وبيته القرميدي وأمه التي صارت عجوزا تلوّح بوشاحها لحرز الطيار ببدلته البيضاء.

عبود لا يتحمل السوط

بدت له وهي على المنبر روحا من حياة سابقة، يعرفها ويعرف نبرات صوتها ووقفتها وكلماتها التي تكتب، بقي مشدودا لها ونزل سلالم المدرج حتى يتأملها عن قرب.

كانت تروي حكايات مختلفة، تعلقها بحيوان بري وتظهر جمالها وعنفوانها من خلال السطور، وجدها لا تزال تحتفظ ببراءة الطفلة.

يد تسللت فالتفتت وشعرت كما لو أنها على حافة المنحدر لم تكن متمسكة ولا صلبة بالمكان، وقعت في زرقة عينيه في ليلة عاتمة، وجدت نفسها تبحر في زورق بنهر يعج بالسمكات ودلائل الصيد ثابتة، كان الوحيد الذي علق في ذاكرتها عندما استيقظت وأعدت فنجان قهوة تستحضر الصور المسربة التي شدتها، تحللها وتحتفظ ببعض منها.

هاتفها الخلوي يرن ويخبرها العالق أنها مميزة وتبعث على الفضول، فتدرك فورا أنه مستكشف للمناطق العذراء التي لم يطأها أحد قبله.

تخط سطرا على الاستكشاف وركوب المخاطرة، تبتسم وهي ترتشف قهوتها، بدا لها توأم الروح وقد أتى بعد طول انتظار.

قدم لها كوبا من الشاي وكانت معدتها الفارغة تبعث بإشارات الجوع، كانت تتساءل، هل المستكشف بخيل لا يطعم ضيفه!!

ليرن هاتفها وترد: قبلت دعوتك على الغداء.

تغيرت ملامحه فجأة كما استشاط غضبا، فكبّ بقايا الشاي على فستانها حتى يمهلها الوقت للتراجع ووجدها فرصة ليقدم نفسه في عجالة، نظفت فستانها وقالت: لن أدعه ينتظر أكثر فأنا جائـعة، لم يكن يملك مالا، رمقها بحزن ثم انصرف وتجدد اللقاء، كانت تراه شخصية ورقية بامتياز، تأملت تفاصيله رصدت حركاته وسكناته، كان مشروعا لمسرحية جديدة، زير النساء سيلقى جزاءه على الورق.

بالنسبة لها كان شخصية ملهمة وصديقا لم يفكر يوما أنها سيئة بالرغم من الإعصار، كان يمد لها يده فتمسك بها وتفر منه إليه وابتسامتها التي لا تفارقها تزين المشهد وتتفنن في محاورته.

غفرت له يوم ظهرت في زقاق مظلم حية سوداء اقتفت أثر الحبيبة "منى" وأرادت لدغها في كل مرة، كانت تروض الأفاعي وتتخلص منهن بكتم ما يسعدها وكان يتابع في صمت، فاطمأن وارتاح باله.

أول من غيرت خارطته ومحت وأضافت على رقعته التاريخية ونصبته ملكا على عرش قلبها وأسمته "عبود" وكانت كنيته.

كان يتحرك على الورق ويستجيب لها وكانت تلاعبه وتبتسم وخيل لخادمتها أن سيدتها بها مس كلما كتبت سطورمسرحيتها وضعت فنجان القهوة جانبا وقرأت العنوان.

كانت الفناجين تتوالى وبعض من المس أظهره كلما اقتربت ودست عينيها فيما أكتبه، قالت: "عبود" هذا يقومه السوط.

أفيشات العرض تلصق في كل مكان وبعناية والمارة يتساءلون عن سر السوط، ساعات قليلة وفتح الستار.

كان رئيس البحارة يأكل الراقصة بعينيه وكانت المعزوفة تمزج بآهات التعذيب، كان السوط يخط خطوطا حمراء على جسده، كانت الدماء الحارة، وأغمض عينيه حتى لا يرى اهتزاز خصر الراقصة.

زير النساء يعذب.

كان عبود يتألم وهمس بأذنها ما هذه القسوة يا حنون.

قالت: تابع العرض.

كانت أرض المعركة أرضها وكانت قد حسمت كل شيء ولكنه ثار ورفض التعذيب وكل ألوان القسوة، كان يخبرها أنه طفل جميلة دواخله.

لمَ لم تظهري هذا؟

أعلم أنك جميل، ولكن حتى لا تقترب منك الأخريات.

كان أقرب متفرج للشخصية وكان يدافع ويبرر حتى لفت انتباه من كان خلفهما.

نادى الممثل الذي كان تحت التعذيب وتوقف العرض بتدخله الفجائي، أنت طيب يا صديقي، ولكن الأخريات يقتربن منك وأنت لا تمانع ويحق للراقصة الآن أن ترقص على جراحك كان يصفق

ويصفق وينظر للجمهور الذي قام وقدم تحية كبيرة كانت تصفيقات مدوية.

صعد عبود للركح وواجه الراقصة، أنت جميلة ومخادعة وغايتك المال ووقعت بالفخ، سأل الممثل: هل دورك الزواج بالخرساء؟ هل هذا ما كتب في المسرحية؟

الممثل يبتسم ويرد: نعم، سيزوجونني بالخرساء وأنا رفضت ولهذا أنا أعذب بسياط البحارة.

دعا عبود الممثل للمقاومة والتحمل.

قل نعم يا صديقي وخذ الكنز فالحياة بالخارج موحشة ويفعلها الممثل وينزل عبود ويعود لمقعده.

أسدل الستار، ليفتح مرة أخيرة وهي تمسك بيده وترجع كل الفضل له فيما وصلت إليه.

أخبرت الجميع أن الصديق الذي لن يجعل منك شخصا مختلفا وجميلا وينير جوانب الدرب المظلمة سيكون أي شخص غير الصديق، والكيمياء القوية التي تتفاعل سر من أسرار الدوام لا نخلط الأوراق بل نرتبها ونقبل ما ينقصنا ونقدم للآخرين ما ينقصهم حتى تعتدل الكفتان.

كان "عبود" في ذهول يسترجع ما سمعه وهو يتناول عشاء النجاح معا وغير مصدق لكثرة عراك الأفكار التي استنشقاها وقال، كانت حربا راقية احتدم الصراع فيها ولمست القوة بين السطور، لم تمنح للمرأة الضعيفة ولكن لم استخدمت السوط؟

كان عليك تصويب الأمر، ربما خلط في الأوراق.

كان يدافع عن بطل المسرحية دفاعه عن نفسه، كان يرى نفسه على الركح كما لم يرها من قبل، شريط يسترسل دون قطع أو مزج أو تلاشي الصورة وأعاد طرح الفكرة التي لم يستسغها أبدا، لمَ اخترت الركح؟

حتى نشاهد "عبود" تحت السياط.

السياط تؤلم ولكنك تناسيت سياطا أخرى ووقعها على المعذب أشد إيلاما.

عندما تكون الروح تحوم على جثث عفنة وتفر منها.

تلك الرائحة خنقت أنفاسي فقمت ونظفت المكان وعطرته بعطر يدوم.

وأي فقرة لا تعجبني وأرى فيها اعوجاجا أقومها على الركح وبالسوط يا عبود حتى يستقيم ظهرك وتمشي معتدلا.

تستخدمين قلمك لترويضي إذن.

ولكن العالم لا يعرف "عبود" واحدا، هم كثر على هذه البسيطة.

قلت السوط موجود.

سوط الحرف يؤلمك وخطه على بياض الورق آلمني أيضا.

وجدنا المشي ليلا في سكون والطريق طويلة، جعلت حرب الفكرة تضع أوزارها ونقتطع بعض اللحظات الصادقة، كانت تهنئة من نوع خاص وأهداني قلمه حتى استمر.

رفاق الطابة

نشرت الغسيل وأطلت من سور بيتها المهترئ عندما أحست عودة الهدوء للحي واختفى صخب الصغار الحفاة وهم يجرون خلف الطابة.

انزعجت قليلا فالهدوء في مثل هذا الحي المتراصة أكواخه لا ينبئ بالخير أبدا، هكذا كانت تردد في داخلها.

يجب أن تسرع لتطل من شق الباب الذي حوى من المسامير ما فاق الخشب البالي، تضع وشاحها على رأسها وتمشي خطوات مبعثرة وتدور بمكانها حتى ترى جمعا في الهجير يلعبون لعبة الكوتشينة ولم ينتبهوا لوجود الصغار.

سيقانها النحيفة لم يعد ما يكسوها إلا الجلد لتقدم قراءة لحياة هؤلاء جميعا.

تراءت لها شاحنات والغبار يعم المكان ويظهر أنها لمقاول سيشيد مباني جديدة، كانت تسأل عن صغيرها وتنادي حتى هرع لأمه تاركا الصحن، ضمته وقبلته ثم انهالت عليه ضربا وكان يعانقها باكيا معتذرا.

كان صاحب العمل يرى حنان الأم وعناق صغيرها، اقترب وقدّم اعتذاره وهو يحمل كيسا به طعام.

قال سمير كان ضيفي وأخبرني أنه يتيم الأب وأنه يريد شراء طابة وقال.

لم تدعه المرأة يكمل حديثه، قالت لم يخبرني بحاجته لطابة أبدا ولن أسمح لك بالخروج مطلقا، سأحبسك في البيت وتلاعب جروك ورفضت أخذ الكيس منه فوضعه بيد الصغير.

جاء سمير لهذا المكان لأنه أراد مسك مقود الشاحنة وفعل كانت أمنيته وحققتها له على أن يحقق لي ما تمنيته.

لم تطل المرأة البقاء وشكت في تلك الأمنية!!

كانت تتلذذ الطعام وتنصح الصغير وهي تحكم قبضتها على أذنه بعدم الابتعاد فالمكان خطير، ماذا لو دهسته الشاحنة!!

كان الطفل يسرد ما دار بينه وبين المقاول من كلام، أخبرها أن الجرافة ستزيل الأكواخ وسيعوضنا المقاول ببيت صغير وقال علينا الرحيل باكرا من هذا الحي وعلينا إخبارهم بالعودة لبيت جدتي.

كان فخورا بالحديث عن صديقه الجديد.

عيناها الغائرتان احتجزت الدموع كما لو كانت بركة راكدة والتفتت لسمير وهو نائم يحتضنها.

ربما سمير ثرثر كثيرا مع المقاول لأجل ما وجده في الصحن الضيافة وراءها تهجير للفقراء وقتلهم تحت الردم إن رفضوا التهجير وإن قبلت البيت الجديد، سأقبل كل ما يأت به المقاول ولكن سأقبل لأجل انتشال ابني من وكر الإجرام.

طرق على الباب ونادى الطفل سمير الذي كان يلاعب جروه قالت نسيبة من؟

قال: أنا من قبل المقاول.

فتحت ونظرت يمينا وشمالا ودعته للدخول للردهة.

سيدتي، اجمعي أغراضك وسأحملها للشاحنة وستدخلان بيتا جديدا هذه الليلة.

الرحيل عن الحي وعن رفاق الطابة، كان سمير يلوح بيده للرفاق الذين أنهكهم الجري وراء الطابة، بدوا كما لو أنهم يحسدون سمير على الرحيل بكرامة تسمروا بالمكان!!

كان سمير محقا بما أخبرها، بيت جميل في حي نظيف.

المقود تديره يدان قويتان، بدا كالوحش أو هكذا كان المقاول يتمنى رؤيته، وحش يقود الجرافة ويقتحم المكان فيزيل الأكواخ.

الفقراء في دهشة من العائد ورفاق الطابة يعرفونه جيدا ويعرفون سر الجرافة التي مسحت ألوان الفقر عنه وعن والدته صاح فيهم وقال:

عودوا لبيوتكم وأهاليكم والأرض لها مالكها وأنا أنفذ الأمر.

كان المقاول مزهوا بسمير، جعله نسخة منه، لم يطب له الطعام تلك الليلة وأخبر والدته أنه اقتحم الحي ورأى رفاق الطابة واحترموه.

لم أهدم كوخا يا أمي ولا أريد، فردت هي لتخبره عن الأمنية تلك، قالت أن سعد المقاول سعى لتعليمك ومحو أميتك كما لم يتمنى أن تصبح مدرسا أو طبيبا، بل صاحب عمل تقود الجرافة وتكون سنده فهو لم يرزق الطفل الذي تمنى كما نبهني قائلا:

لا تقفي عقبة أمام سمير.

استسلمت لرغبته لا لأمره وشكرته فأظهر احترامه لي فهو يريدك.

عشت في الغبار يا أمي الذي تخلفه الشاحنات وها قد اشتد عودي واكتسبت طباعه وعرفت عند رجال الأعمال أنني ولد المقاول بل ومن صلبه.

تهجير الفقراء وهدم الأكواخ وصراخ الأمهات وقهر الآباء صورة لم أرها ولكن توقعتها.

لحظة إبعادنا عن الحي، الآن تدك الأكواخ يا أمي ورفاق الطابة صدورهم عارية تجابه الجرافة.

رمى بالصحن وبكى، نظرات رفاقي لي قاتلة أقوى من الجرافة مساحات استولى عليها صاحب العمل من الفقراء، ينتزع حقوقهم بالجرافة وأرادني الأداة الفاعلة.

طرق على الباب وتفتح العجوز لتجد صاحب العمل يستجدي بسمير.

ولدي أنا بحاجتك أكثر من أي وقت مضى.

ورفاقي بحاجتي أيضا وسأدافع عن عائلاتهم.

جلبة كبيرة، شريط يمر أمام عينيه الشيوخ والعجائز والأطفال والجراء ورفاق الطابة صدورهم عارية تجابه لحظة تحرك الجرافة

.

إنها تتحرك وتتقدم، لحظات حبست فيها الأنفاس وسعدت أنفاس أخرى، كان سمير في لحظاته الأخيرة إما يزيل الأكواخ أو تزال روحه برصاصة طائشة.

كانت الجرافة تتقدم فتقدم الرفاق، العجوز كما لو أنها رمت بسمير لقدر مجهول، كانت صامتة وكانت تختبر رجولة ولدها يرفع شأنها أو يحطه وساعتها تترك جسده للكلاب الضالة.

أوقف صوت المحرك وأوقفت معه أنفاسه برصاصة طائشة.

فراشـة الركح

تقوم من سريرها على رنين المنبه منزعجة، ماذا ورثت من جدتي غير هذا المنبه الذي كانت تقربه منها فتستفيق وتضيء نور الرواق وهي تحمل دلوها الصغير تصلي وتدعو لي بالخير.

ولم تتحقق دعواتها لي وأنا أحلق في سماء الثلاثين بعد تخرجي من الجامعة، كل الأبواب موصدة في وجهي.

رتبت رف مكتبتها وتوجهت لمقابلة صاحب المكتبة، كانت تراها حديقة غناء، كل الأزهار الجميلة والأشجار الملونة، حالة انبهار تملكت نبيهة.

آنستي، مرحبا بك، أحب الأشخاص الذين مواعيدهم مضبوظة.

تبتسم، إنه منبه جدتي أستخدمه حتى أستيقظ في الوقت المحدد، كانت سيدة مواظبة على العبادة.

يشير لها صاحب المكتبة الذي يكسو البياض شعره، أنيق ببدلته الرمادية وابتسامته لا تفارق محياه.

في الحقيقة أنا بحاجة لموظفة جديدة، تتعامل مع الأطفال حبيبهم في القراءة وسأجعل لك راتبا مناسبا.

يدخل رجل يتأفف من صغيرته ويسحبها للداخل، تسرع نبيهة وتستقبله وتحاول تهدئة الصغيرة ولكنها تعضها من يدها، تصرخ

نبيهة ويطلب لها صاحب المكتبة عدة الدواء ويداويها حتى لا يلتهب الجرح، أنياب الصغيرة كأنياب قطة مشردة تخدش وتؤلم.

حاول الرجل الاعتذار منهما، فعل ابنتي مخجل.

لمَ جئتما إلى المكتبة؟

أريدها قارئة، عسى يتهذب سلوكها.

كان اليوم الأول الذي تستلم فيه الوظيفة وكان صاحب المكتبة يراقب ما تفعل، جلبت قصة وأخذت الطفلة، كانت تقرأ لها وتمثل وعندما وصلت لشخصية الشريرة نكشت شعرها واخشوشن صوتها فانفجرت الصغيرة ضحكا وجرت ناحية الرجلين.

تبدو غبية، انظرا لشعرها.

الطفلة محقة، ما هذا التهريج!!

حاول الأب تسوية الوضع ولكن نبيهة لم تكترث وسرحت شعرها ووضعت أحمر الشفاه.

آنستي، أعتذر منك فابنتي متنمرة ولا صديقة لديها ولم أجد الحل، صرت أرفض حضور المناسبات بسببها.

هل تعرض عليّ مهمة ترويض الطفلة مثلا، هل ستدفع لي؟

يصافحها، اتفقنا.

هذا الرجل من الأثرياء وزوجته كانت متنمرة.

كانت؟؟

نعم، وانتحرت وبصراحة الأب يخشى على ابنته أن تلقى المصير ذاته.

قلت أرمل ثري إذن.

كتبت نبيهة مسرحية للأطفال واختارت ممثلين من فصل الطفلة شيماء وتعمدت عدم اختيارها، فاستاءت وانزوت وهددت بالصراخ إن حاولت الاقتراب منها.

حتى يقبل بك الأمير في المسرحية ويطلب يدك أمام الجمهور عليك أن تكوني مهذبة ومبتسمة وتتكلمين برقة.

الطفلة منصتة ودموعها حبات لؤلؤ تتلألأ داخل محارتين صغيرتين وجدتا في شباك صيادة هاوية.

تحبين الأمير ولكن هو يحب أخرى.

شيماء ترتمي في حضن مربيتها الجديدة وتهمس في أذنها ولكن نبيهة تخوفت من تكرار العض فتقضم أذنها هذه المرة.

أحب الأمير أنس وأراه أميرا حقيقيا ولكنه يرفض اللعب معي ويفضل البدينة إيناس.

منحتها فرصة حتى تقوم بدور الأميرة وتغير من تصرفاتها كانت شيماء تظهر لباقة وطاعة لوالدها وكانت تقبله عندما يأخذها للمدرسة وكانت تقتسم لمجتها مع غيرها، بقيت أراقب تصرفاتها وألتقط لها صورا خفية عنها حتى أدرس طباعها وإن تغيرت تصرفاتها وكان اليوم الأخير لبروفات المسرحية.

حملت ورقة وأوهمتهم أني أقرأ قائمة لأسماء الممثلين الذين اختارتهم اللجنة وكنت أنا فقط من أدرجت هذا العلاج كتجربة لحالة شيماء المتنمرة.

سأنادي على من اختارتهم اللجنة لتمثيل أدوار في المسرحية.

إيناس، ستمثلين دور الجدة، حاولت شيماء الضحك ولكن توقفت حالما وجهت لها تنبيها، شيماء لن تتغير.

ابتسمت، وناديت على الممثل الثاني والثالث والرابع ودور الأمير الشجاع أنس وأخيرا الأميرة الجميلة والمهذبة شيماء.

قفزت فرحا وعانقت الجميع، وعانقتني وشعرت بقوتها ورغبتها في التغير والرقص على الركح، سأجعلها فراشة الحقول.

يرفع الستار وتدخل الأميرة شيماء في زيها الجميل وتسريحة مناسبة تحمل الدلو وتسقي الأزهار وتنزع النباتات الضارة وتحدث الزهرة وتطلب مساعدتها بمنحها الجمال الكافي لأنها تسقيها وتعتني بها فأظهر أنا فراشة كبيرة وأضع على رأسها تاجا صغيرا.

ويدخل الأمير غاضبا ووراءه حارسان ويقول حتى تجد جدتي عليّ العثور على فراشة الزهور التي تضع تاجا على رأسها، تنظر إليّ غير مصدقة وتنبعث موسيقى فتغني شيماء أغنية الربيع الأمير يسمع صوتا جميلا ويأمر الحارسين بإحضار صاحبة الصوت الجميل فيجلبانها في الحين.

تسعد الفراشة شيماء وتنادي الأمير أنا بقربك، أنا وسط الحقول وتظهر الطفلة البدينة التي تشم الروائح الزكية من باقة الأميرة شيماء.

يجثو الأمير على ركبتيه ويضع الخاتم بإصبع الأميرة الصغيرة.

كانت سعيدة جدا وصفق لها الجمهور طويلا وكانت سعادة والدها كبيرة.

أسدل الستار وتعاملت الصحفية مع شيماء كأنها نجمة كبيرة وسألتها عن سر تفوقها في دور الأميرة فأخبرت أنا الصحفية أن شيماء أميرة حقيقية، كانت تتلقى التهاني من الجمهور الذي اقتحم الركح، كلهم زملاء الفصل والتقطت معهم صورة وهممت بالمغادرة ولكنها أصرّت على مرافقتي والمبيت ببيتي، كانت تحتضنني وتقول شكرا، شكرا ثم نامت.

تلك الصبيحة استلمت مالا من أبيها بحسب الاتفاق وجلبت لها هدية وكتبت لها رسالة.

ستمثلين مسرحية أخرى، سألتقيك بالمكتبة ونختار قصة ونحاول كتابتها من جديد.

الحصول على الوظيفة لم يكن بالأمر السهل وأشكر شيماء وغيرها من كن متنمرات على منحي الفرصة، هكذا تحدثت لصاحب المكتبة.

مراسيم افتتاح مكتبة الفراشة كانت مفاجأة بالنسبة لي ولشيماء، وجدت راحتي مع الصغار ومع قراءة القصص والتمثيل إلى جانبهم.

.

سوف أهاجر يا أمي

تتوقف حافلة الطلبة عند مدخل متنزه غابي، كانت الصبيحة باردة، انتشر الآخرون ورافقت ميساء قريبتها عبلة للكافيتيريا.

وهما ترتشفان القهوة كانت عبلة البادئة بالحديث، لم أخبر أمي الحقيقة، أخبرتها أننا ذاهبتان للتسوق وأفكر في المشتريات.

لمَ فعلت هذا، عمتي مريضة وبالها مشدود، ستتصل بك مرارا.

سأغلق هاتفي وأتخلص من إزعاجها.

يرن هاتف ميساء والمتصلة العمة، نحن بخير عمتي.

أين نحن؟ نحن بالمحل، عبلة؟ عبلة إلى جانبي.

لم هاتفها مغلق؟

البطارية نسيت أن تشحنها، تواصلي معي عمتي.

دمت طيبة.

ميساء جد مستاءة من تصرفات عبلة اللامسؤولة، رفيقان قادمان نحوهما، من منكما تجيد الطبخ؟؟

لا أنا ولا هي ارحلا.

يرحلان ممتعضين، سنغادر المتنزه ونقصد أول محل لبيع الملابس النسائية وبعدها نتناول الغداء مع الرفاق.

المدينة كبيرة وشعرت عبلة بالتحرر وكانت تلتقط الصور في أماكن مختلفة وبوضعيات مختلفة وابتسامتها لا تفارقها، كانت منطلقة محبة للحياة.

لافتة المحل، كل ما يخص الأنثى.

ملابس راقية وباهظة الثمن ولكن استقر قرار عبلة على اقتناء ملابس داخلية.

كان يحوم بالمحل شخص تعود على التردد على هذا الفضاء الذي يعج بالإناث.

ميساء راق لها فستان قصير وقرب عيد ميلادها الثاني والعشرين ولكن المبلغ لا يفي بالغرض.

اقترب منهما الصقر الحائم وطلب من البائعة إحضار فاتورة الفستان وسددها.

لم يكن المبلغ المضاف كثيرا ولكن ميساء انتفضت وحاولت باحترام ولباقة رفض مساعدة الغريب ولكن عبلة أظهرت طمعها وأخذت الفستان منها.

سأتطوع وآخذ هذا الفستان.

ما كان من ميساء إلا صفع عبلة التي تمردت وتشاجرت معها ورفضت الوصاية.

غادرت وبيدها الكيس ليتبعها الصقر القناص وتركب سيارته وتترك ميساء في ذهول.

تتصل بعمتها وتسرد لها الواقعة.

أدعى مواز، كان يقدم نفسه لها.

أين بيتك؟

في القرية المجاورة للمدينة، اكتبي لي رقم ميساء.

لمَ رقم ميساء؟

سجليه على هاتفي.

فتفعل ممتعضة!!

يوصلها وينتزع منها الكيس.

هيا انزلي، ادخلي إلى بيتك.

كانت العمة ترى المشهد من النافذة.

تلتحق ميساء برفاقها في المتنزه وتتحدث إلى رفيقة أخرى عن تصرف عبلة وحان موعد العودة.

الجميع في الحافلة، حركة مرورية خانقة هذا المساء وعمتي لم تتصل، أخشى أن يصيبها مكروه.

حاولت الاتصال بها ولكن كانت صامتة وبقيت صامتة وعبلة ترى اسم المتصلة.

أنا بالبيت ولم أذهب إلى مكان آخر كما تعتقدين، أنا إلى جانب أمي حبيبتي.

ولكن مواز انتزع من يدي ذلك الفستان.

من مواز؟

اتصال ثانٍ تتلقاه ميساء.

لحظة أعتذر منك، لأرى من يتصل بي.

هل الرقم مسجل؟

لا، رقم جديد.

من المتصل؟

أنا مواز.

تصمت ميساء.

مواز: أنا أتبع الحافلة والفستان بالسيارة.

متى أعطيك إياه وتسددين المبلغ على أقساط؟

لا ترد ،ثم تقفل الخط.

مواز يبتسم، فالطريدة لا تشبه الأخريات، إنها مقاومة ولكن لا بأس.

تتوقف الحافلة عند مدخل الجامعة وينزل الجميع وتتعمد ميساء البقاء بالحافلة.

يرن هاتفها فمواز لم يرها مع الرفاق، فتخبره أنها بالبيت منذ ربع ساعة واستقلت سيارة أجرة.

أمر لا يصدق، عليّ تفتيش الحافلة.

كانت تجلس في الخلف.

لم كذبت؟

تعلمين أشد شيء أكرهه هو الكذب.

لمَ تلاحقني؟ (بنبرة غضب)

حتى أسلمك فستانك الأسود سواد يومي هذا، ترك لها الكيس ورحل غاضبا.

تجربه على المرآة.

لا بدّ من الاتصال به حتى أشكره على المساعدة.

مواز يحلق لحيته وهاتفه يرن ويرن ويرن ولم يكترث، أعرف أنك أنت الكاذبة، لن أرد على اتصالاتك.

صديق مواز منصت للحديث وهما يتجولان ليلا في حديقة البيت.

لمَ تدفع عنها أقساط الفستان؟ هل جننت؟ ستشك بنواياك.

كنت أبحث عن فتاة جميلة حتى أقدمها لوالدتي، فنحن مقدمان على الهجرة وقصدت المحل عمدا، فالجميلات يأتين إلى هذا المكان ووجدتها قد اشتهت فستانا ومالها قليل، أردت لفت انتباهها لي ولكن ابنة عمتها أفسدت الأمر.

خذ والدتك لبيت ميساء وتحدث إليها في حضرة ذويها وأخبرها بموضوع الهجرة

أريدها أن تستمع لي وتبادلني المشاعر والاحترام وأتأكد أنها غير مرتبطة بشخص آخر.

لقد اختبأت داخل الحافلة وكذبت أنها بالبيت.

رنين الجوال، إنها هي، الكاذبة، يبتسم الصديق.

رد عليها.

كان صوت ميساء يرتجف قليلا، وكان مواز صامتا ولم يبادلها الحديث ثم أقفلت فاتصل بها مواز وأخبرها برغبته في الارتباط بها والهجرة معا وأنه بانتظار الرد، هرعت لوالدتها وعرضت عليها الأمر قائلة صاحب الفستان الأسود يريدني وكانت فرحة بالعرض ولكن والدتها صعقت.

الهجرة؟ لن أقبل بهذه الزيجة أبدا.

لو طلب يد عبلة، هل كانت عمتي تمانع مثلما تمانعين أنت الآن؟

عبلة أرادت السطو عليه ولن أتركه لها، سأهاجر يا أمي.

ضمتها الأنثى الكبيرة، لما رأت إصرار ابنتها على الحفاظ على مواز وقالت: لن أخشى عليك من رجل يحبك.

في شوارع المهجر التي اقتلعت كعب حذائها الأبيض، يوم كانت ترتدي ثوب الفرح كان مواز مستاءً، سنركب القطار وسترين بيتك وأرجو أن تكوني متفهمة.

تلك الليلة قضتها تتأمل السقف الخشبي على ضوء القنديل لتسيقظ باكرا وترعى الخنزير وتجلب مالا تعيل به نفسها، كيف خدعتني بسهولة؟ هل كنت ترى فيّ مهارات الراعية؟

رأيتك زوجة وحبيبة، لهذا أنت معي الآن.

ما هكذا تكرم الزوجة في الوحل مع الخنازير، سأعود لأمي.

حاول إقناعها بجني المال بالرعي والعودة للديار في ظروف جيدة، سددت أقساط الفستان الأسود الذي اعتبرته دينا عليها وارتدته وهي ترعى بعيدا، استعادت حريتها واحترفت المهنة وجمعت المال وعادت للديار، رمت بالفستان الأسود لعبلة وأظهرت أسفها الشديد، ما كان عليّ صفعك يومها، كان الفستان لك وليس لي.

الطائر المهاجر سيعود

كان الأنين ينبعث من الغرفة المقابلة، كان لوالدته التي انعزلت بمفردها عن الناس ولم تعد ترغب في رؤية أحد، كلما حل الظلام تخرج لحديقتها وتغرس نباتات جديدة يجلبها لها ابنها الوحيد من حرصه على تحسن مزاجها، كانت تطلق الأسماء على النباتات ثم تلتفت للأقفاص وتطلق سراح العصافير وتودعها على أمل عودتها، ثم تعود أدراجها لغرفتها وكان الوقت يقترب من الفجر، تسلل علي للغرفة حتى يتبين ما يجري، كانت الغرفة مضاءة بالشموع التي تتراقص شعلاتها ترسم ألوانا على ملامح المرأة التي لا تزال تحتفظ بسمات الجمال والصوت الهادئ فتفشي أسرارا من مقلتيها ومما يبوح به لسانها، لم يكن أحد يؤنسها إلا الذكرى الحزينة فتعيدها إلى المرآة الفضية.

تسمر مؤنسها "علي" الذي لا تشعر به وتسلل الحزن لقلبه، كان يخشى عليها الخرف وكان لا يزال يستجمع شتاته حتى يقابل "عزوز" كان يراها محتفظة بمشاعر حقيقية كلما تذكرت طائرها القناص، كان يشبه الجوارح وصعب الانقياد، عاشق الجبال والأرقيلة.

تلك الليلة، كانت ناقمة على ما خطه عزوز على بياض صفحاتها وكان "علي " يخشى عليها، وجودها بحياته والرفاهية التي يحياها تغنيه عن النبش في ماضيها.

بدت له كما لو أنها تستحضر روحا ميتة، كانت تعاتبها وتذكرها بالعهد القديم الذي قطعاه سويا.

(كنت تدفع الشباب لملاحقتي وتظهر بعدها يا مخلصي، كنت تدفع للفقراء وحولتهم لقطاع طرق، يعتدون على الفتيات حتى تطمس معالم الشرف في البلدة)

(كيف لم أنتبه لحمرة عينيك وقرنيك ووساختك)

الشاب يتصبب عرقا.

ثم تبكي بحرقة.

آه، أعاتب نفسي التي غررت بي وكنت أجمل الفتيات، تسمعني من منبت الشهد كلاما يطيب الخاطر وتحمر له الوجنتان وأطرق رأسي استحياء.

ثم ترفس برجلك ما دب بأحشائي من حياة، لقد سميته "علي" علي أول حرف من اسمك يا عزوز.

يدق بابها وينابيها: لمَ أنت مستيقظة؟

آوي لفراشك يا بني.

ولكنه بقي مشدود البال عما تعرفه المرأة، من كانت تستحضر في مخيلتها ولمَ بتاريخ 27 فبراير؟

كل الأوراق تفحصها ليجد نتيجة كشف الحمل بذاك التاريخ ثم لا يوجد شيخ يدعى عزوز إلا عزوز الماركة وهذه كنيته، لأنه كان يتتبع مجال الموضة وجديدها وهو صاحب مصنع.

اقتنى عبوة شراب حتى يأخذ منها معلومات يحتاجها المستهلك واتصل بالمصنع وسأل إن هو لعزوز الماركة.
الشبه واضح بين الأب والابن ودخوله كان عن ثقة وأنه صاحب الحق وسيأخذه.
اللقاء تم سريعا والشبه والثقة الزائدة حسما النتيجة لصالح "علي" بادره قائلا: كيف هي دليلة؟ لقد اشتد عودك وصرت شابا.
البيت جميل، كانت والدتك من غرست الأشجار والأزهار وكانت تفوح عبقا عبق روحها. هل هي من أرسلتك؟
لقد جنت وحالتها ساءت كلما تذكرت تاريخ 27 فبراير.
كان ينتظر الرد ولكن "عزوز" غادر المكتب وكانت فرصة ليأخذ علي صورة حائطية.
ووضعها إلى جانب مجسم منحوت لامرأة، أطالت النظر بهما ولم يكن صدفة أبدا، فالرجل الثاني كان نحاتا فقيرا هكذا عرفته أمه وهذا التمثال من صنعه.
ومن المرأة يا أمي؟
لا أدري، أنا لم أطلب يوما مجسما ولكن وضع بالبيت تماما مثلما أنت تضع الصورة.
تقصدين أنها مكيدة؟
مكيدة أكيدة.

الفخارجي كان من أفضل أصدقاء عزوز، وكان مدمنا على تدخين الأرقيلة تماما مثل أبيك، وكان يبيت الليل ينحت مفاتن النساء بالطين.

ولكن هذه الرجل لامرأة عرجاء كما لو أنها استفاقت من غيبوبتها.

العرجاء، كانت العرجاء فتحية، من أفشت بسري وماتت في حادث سير مدبر.

كانت سببا في انفصالنا ولكن "عزوز" أبقى على الود واشترى لنا بيتا وخصنا بمعاش يكفينا ثم هجر البلدة.

كان شبيه الطير المهاجر، يحلق كلما تلبدت السماء ولكن الطير المهاجر سيعود.

ملابس جدي

كان في رواق المستشفى، كان قريبي الطبيب "أيمن" يشرح للأقارب الوضع الصحي لجدي، ينظر في كل الاتجاهات حتى يتهرب من نظراتهم.

لم أر هذا الجمع منذ سنوات وأتذكر يوم أقفلت الباب بعد خروجهم، كان "أيمن" يشرح لهم أن جدي يعاني من مرض السرطان في حالة متقدمة.

لبنى، اعتن بجدك، أعانك الله إلى اللقاء، إلى اللقاء.

دفتا باب البيت اشتاقتا لهم حتى تحتضنهم بعد غياب دام أربع سنوات وجدي يتمنى رؤيتهم قبل رحيله، كان يبكي كلما تذكرهم وكنت أواسيه.

ليقطع "أيمن" لحظة سرحت فيها بعيدا.

إدارة المستشفى تطلب مالا وسأرى الجميع سيتفرق ولن يعود أحد منكم.

من يدفع الفاتورة؟

ينسحب الجميع في صمت، رجالا ونساءً وأطفالا.

هل تقول الصدق؟ أم حتى تفرق جمعهم؟

الجمع سيعود يا "لبنى"، يا رفيقة طفولتي ويكون وقت تقسيم التركة.

عن أي تركة تتحدث، جدنا فقير لا يملك إلا معاشا قليلا يقبضه كل شهر وهذا البيت المهترئ.

نظفت بيت جدي واعتنيت بالنباتات وجاء أيمن وطلب فنجان قهوة.

أين الآخرون؟ لمَ أنت وحدك بالبيت؟

أخبرتهم أنك أمرت بإخراجه اليوم وفرارهم حتى لا يعتنوا به في أيامه الأخيرة.

يرتشف قهوته.

فهمت ولم أستغرب، فهم هكذا، يحضرون وقت تحقيق المصلحة.

رأيته آخر الليل يتصبب عرقا ويستكين ويتورد وجهه ثم يبتسم ونظراته في اتجاه آخر، كما لو كان يبتسم لأحد بجانبي، عانقته ووضعت رأسي على صدره، كنت أتحسس نبضات قلبه التي كانت تنخفض ثم توقفت لا دقات أسمعها كما لو أن جسده أصبح صندوقا فارغا وأفرغ اللحظة من محتواه.

قرأت الشهادة بدلا عنه، دموعي تجمدت وقفت أتأمل الراحل العزيز الذي لاعبني وضمني وحملني بين ذراعيه وهنأني على درجاتي العالية، كنت أشعر بالخوف فيزيله، ومن ذا الذي سيزيله الآن؟

أنا خائفة واستمر الوضع لدقائق، تجمدت عروقي ولم أقو على النهوض، حاولت وسقطت وحاولت مرة أخرى لتنفلت مني صرخة مدوية ذبحت حنجرتي، وجدتني وسط الجيران والأقارب الذين لم أشهد لهم مثل هذا الحضور.

وفي المدفن يقترب مني "أيمن" ماذا ستفعلين بحياتك يا لبنى؟
رفعت بصري وعيوني مثل الجمر المتقد، فأنا أعرفه سليط اللسان.
أحتاج لخادمة مقابل اللقمة فزوجتي لم تتعود بعد على تنظيف فيلا.
تتحدث عن اللقمة أمامي، يا من كنت تشحذها، زوجتك الغنية اشترتك كما تشتري أغراضها من السوق ولم أكن أبدا غرضا ينتظر زبونا.
أصابعي الخمسة رسمت على خده.
لم يقم برد فعل، حملق بعينيه ثم انصرف والجميع في ذهول من تصرفي.
فكرت مليا في مشروع أستثمر فيه حصتي من التركة، أعثر على الفكرة أدرسها ثم أرفس الورقة، فالمال قليل والورثة كثر وعدت لبيت جدي، سطوت على ملابسه، الساعة والعمامة والمعطف والسروال، كلها أزياء عربية.
فتحت أستوديو تصوير وكان السائح "ستيفان" يرتدي الزي التقليدي وانتشرت الصور على الفضاء الأزرق.
ضحكت من "ستيفان" بدا لي شبيه الجاسوس الشهير "لورنس العرب" وقال إنه رحالة مصور يدون يومياته في كتاب سيرى النور بعد رجوعه للديار والتقط لي صورا وأنا باسمة، "ستيفان" منطلق ويحاول تعلم اللغة العربية من خلال الأصدقاء أستوديو

التصوير كان ملاذه وعمل إلى جانبي حتى ذكرني بزيارة قبر جدي ورافقني.

كنت أتحدث إليه وشعرت أنه يستمع لما أقول، لم يزرني أحد بعد رحيله وشعرت بالوحدة لأرى أول قريب زائر لمحل التصوير جلب معه الشرطة واتهمني بالسطو على الملابس وباستثمارها.

أخبرت الشرطي أن الملابس صدقة جارية على روح جدي، لأرى الزائر المستغل يطلب نصيبا من المال أو يستثمر هو الآخر الملابس ذاتها بالمشروع ذاته.

كان يعرض الشراكة حتى يتردد على المكان بأريحية ولكن ستيفان رفض، فالعقد لا يحتاج لشريك ثالث.

وجدت السطو على الفكرة وتقليدها جريمة كبيرة، ثم إن الخزانة ملأى بالثياب فليأخذ منها ويتركني بسلام.

أزعجني تردده على المحل فأنا حفيدته التي لقنته الشهادة في لحظاته الأخيرة واعتنت به ولا تزال تنظف البيت القديم وتسقي النباتات حتى يبقى البيت معروفا بصاحبه الراحل، أيها النكرة يا بذرة الزنى سأخضع دمك للفحص، فوالدك مجهول بالنسبة للعائلة.

كان ذلك الملف من الطابوهات وفتحته، وكان" أيمن" يكبرني بثلاث سنوات ولم أر له قريبا من أهل أبيه وكان يتردد على بيت جدي الذي كان ينهال عليه ضربا بعصاه ويرفض رؤيته.

جلب الشرطة للمرة الثانية واعتقلتني هذه المرة وقضيت الليلة في الزنزانة، ملابس جدي أم المال أم السطو على كل شيء.

أعدت الملابس للخزانة وصمم صديقي ستيفان الملابس ذاتها واستمر المشروع الذي حقق نجاحا واحتفلنا ووثق اللحظة، أبان عشقه للتراث العربي واستكشف عادات الحي وتقاليده أثناء المناسبات الاجتماعية التي حضرناها معا.

أيمن يتردد على المحل ويتهمني مجددا بالسطو على التراث وتمريره للأجانب لأتهم بتهمة الخيانة وسرقة التراث ليزج بي في السجن، لقد وظف كل استشاراته في القانون ووجدتني داخل المصيدة.

دافع عني "استيفان" وشرح الظروف من تواجده في الحي ومن الشراكة في أستوديو التصوير، واتهم أيمن بمضايقتي وطلب المال وخُلِّي سبيلي.

تعلق لافتة ذهبية على المحل "ملابس جدي الحاج الكريم" كانت فكرة "استيفان".

تمر سنوات بعد رحيله لهاتفني بلكنته الإنجليزية.

ملابس جدي صارت موضة عالمية، ملابس الحاج الكريم تصدرت مجلات الأزياء.

فهرس المحتويات

إهداء وشكر.....	05
إهداء خاص.....	06
شكر وعرفان.....	07
كلمة الكاتبة.....	08
تقديم.....	09
عدلية اللثام يليق بك.....	11
فاكهتي الطازجة.....	16
مصرع العم إسماعيل.....	19
قبلة سباغيتي.....	23
خطأ في الوجهة.....	26
إني أحترق يا رونق.....	33
الأراجوزاتي موسى والأخريات.....	37
حرز الطيار والعصفور الصغير.....	48
عبود لا يتحمل السوط.....	51
رفاق الطابة.....	56
فراشة الركح.....	61
سوف أهاجر يا أمي.....	67
الطائر المهاجر سيعود.....	73
ملابس جدي.....	77